THE
CARTER CENTER

مركز كارتر

موجز بحث
تطور دعاية التجنيد في داعش في ضوء الخسائر الإقليمية
كانون الثاني/يناير 2017

ملخص تنفيذي

بحلول نهاية العام 2016، فقدت داعش 43% من مجموع الأراضي التي تسيطر عليها، بما في ذلك المدن الرئيسية في العراق (الفلوجة والرمادي وتكريت)، وسوريا (كوباني وتل أبيض ومنبج).[1] وفي ضوء التقدم الذي أحرزته مؤخرا قوات الأمن العراقية، يبدو أن الإطاحة بقوات داعش وإخراجها نهائيا من الموصل أصبح أيضاً أمراً محتوماً. هذه الخسائر الإقليمية الكبيرة تشكل اختبارا لتكيُّف داعش مع استراتيجيات التجنيد.

وردا على خسائرها الإقليمية، قامت داعش بتطوير استراتيجيات الاتصال لديها بثلاثة طرق هامة ومترابطة فيما بينها: دينيا واستراتيجياً وتكتيكيا. ويخلص تحليل مركز كارتر إلى انه من المرجح صمود أيديولوجية داعش رغم خسارتها الإقليمية الكبيرة؛ فالتدخل العسكري وحده غير قادر على القضاء على التطرف العنيف. وعلى الرغم من النكسات، ستواصل داعش جذب مجندين جدد لايديولوجيتها والتحريض على العنف. لذلك، ما لم تُعالج الأسباب الجذرية للتطرف العنيف على نحو كافٍ، بما في ذلك المظالم الاجتماعية والسياسية وسوء الإدارة وانعدام التنمية والتوسع الحَضَري السريع وزيادة التنافس على الموارد المحدودة والصراعات التي طال أمدها مثل الصراع في سوريا، ستستمر الإيديولوجيات مثل أيدولوجية داعش بإنتشارها السرطاني عبر مواقع التواصل الإجتماعي وشبكات الإتصال غير المتصلة بالإنترنت. إن الاستنتاجات المقدمة هنا تستند إلى تحليل شامل لمصادر داعش الأولية، بما في ذلك أشرطة الفيديو والخطب السمعية والمجلتين الإلكترونيتين دابق[2] ورومية.

---

[1] التهديد الجهادي: الدولة الإسلامية والقاعدة وما بعدها،" معهد السلام الأمريكي، ديسمبر 2016/يناير 2017.

[2] دابق هو اسم بلدة في شمال سوريا حيث ستجري فيها بحسب النبؤة المعركة المروعة النهائية، وأيضا هو اسم مجلة إلكترونية باللغة الإنجليزية لداعش. من الآن فصاعدا، سوف تسمى البلدة دابق وأيضا منشور داعش الدعائي سيسمى دابق.

إعادة التفسير الديني: بناء مظلة مقدسة

تعتمد مواد الدعاية الداعشية باستمرار على ادعاءات دينية، بما في ذلك تحريف النصوص الدينية الإسلامية الأساسية من أجل بناء سلطة دينية وايجاد تبرير أخلاقي للعنف الإرهابي خدمة لمشروع سياسي أكبر.[3] فالإدعاءات الدينية تُعوِّم رواية داعش وتعزز الدعاية لديها. غير أن التفسيرات الدينية للأحداث من قبل داعش ليست ثابتة إذ أنها تتطور لوضع إطار آخر التطورات بطرق تعزز أهداف داعش السياسية والتجنيدية.

في تسجيل صوتي بُث على وسائل إعلام الفرقان بتاريخ 2 نوفمبر 2016، تكلم فيه أبو بكر البغدادي، زعيم داعش، عن الفهم الديني للفتنة (المحاكمة)، ملقيا بمظلة مقدسة على خسائر المعركة الدينية: "وإذا كنا المصابين بالقتل وجروحنا أصبحت كثيرة، والعواصف والغضب ضدنا، والمحن لدينا أصبحت كبيرة، فأنه سيكون أيضا ما لم يكن مفاجئاً. فمن الله وعد لنا. بل فتنة وهو أمر لا مفر منه."[4] وبذلك إن إعادة هيكلة دينية واسعة لشرح النكسات الأخيرة على أنها سابقة إلهية محتّمة للنصر النهائي لا تزال سائدة في مقالات نُشرت أيضا في الآونة الأخيرة في رومية. لقد استشهد العديد بالحكايات التاريخية والآيات القرآنية التي تؤكد ان الهزيمة الأولى أو القوة غير المتكافئة علامة على أن الله سوف يتدخل وينقذ جنوده. إن محاولة داعش إعادة تفسير مواقفها الدينية تشير إلى الاعتراف بالخسارة الإقليمية وتطور استراتيجية الاتصالات لديها.

وهذا التحول يبدو الأكثر وضوحاً في إعادة تفسير داعش لنبؤتها الأساسية المتعلقة بساحة المعركة المروعة في دابق. تُسَلم داعش أن خسارتها العسكرية في منطقة دابق، والتي تحتفل بها كموقع لنصر مؤكد على الكفار، يمكن أن تؤثر سلباً على جهودها المتعلقة بالتجنيد. وعليه، فإن إعادة تفسير ديني لقصة دابق المروعة، مقرونا بإعادة تصوُّر أهدافها الاستراتيجية، أمر حيوي لدوافع داعش التوسعية. وقد تحقق ذلك بالتحول من مجلة دابق الى نشرة جديدة– أي رومية. وفي حين أن داعش لم تفقد منطقة دابق رسميا الى القوات السورية المدعومة من تركيا حتى أوائل أكتوبر من العام 2016، فإن وقف دابق عن الصدور في يوليو، متبوعة بنشر رومية في سبتمبر يُظهر أن المجموعة الإرهابية إستبَقَت سقوطها الوشيك وعملت بالتالي على إعادة تصميم مهمتها. ويصبح الأمر أكثر وضوحاً في العدد الثالث من رومية حيث تخصص مقالا عن خسارة دابق. وما بدا أنه هدف استراتيجي وديني أساسي لداعش– أي التعجيل بنهاية العالم في دابق– أُعيد تعريفه في ضوء الخسائر الإقليمية، وفتحت كل قضية من قضايا دابق مع اقتباس لأبو مصعب الزرقاوي[5] القائل باستمرار كفاح الجهاد "حتى تُحرِق جيوش الصليب في دابق."[6]
رومية، مع ذلك، تميز بين معارك طفيفة في دابق والمعركة النهائية المروعة. "الساعة الأخيرة" في دابق أضحت وشيكة، ولكنها مُرجأة. وهكذا تتم إعادة تفسير الخسائر العسكرية كمجرد انتكاسات على طريق النصر المحتوم:" حرب

[3] من المهم أن نؤكد أن داعش هي أساسا مجموعة سياسية، حتى لو كانت تلك الأهداف مصاغة في إطار يتعلق بالخطاب الديني والنداءات الدينية.

[4] أبو بكر البغدادي، أبو الفرقان وسائل إعلام الفرقان، 2 نوفمبر 2016.

[5] أسس أبو مصعب الزرقاوي تنظيم القاعدة في العراق في العام 2004 بعد تعهده بالولاء لتنظيم القاعدة. أقوال الزرقاوي غالباً ما تتم الإشارة إليها في الدعاية الداعشية لأغراض بلاغية واستراتيجية.

[6] دابق، الأعداد 1–15

الكر والفر الدائرة في دابق والمناطق المحيطة بها– معركة دابق الصـــغرى– ســـتؤدي حتما إلى الملحمة الكبرى في دابق، حتى ولو سبقها انسحاب بأمر الله"[7] وهكذا توفر داعش تغطية دينية للخسائر التي تكبدتها بينما تحذر أعدائها وتُطمئن مؤيديها.

رواية " الرابح ": الاعلام الاستراتيجي في الفضاء الإلكتروني

أتاح الابتكار الديني لداعش توفير الغطاء الديني لخسائر المعركة وتغيير حظوظها، ولكن استراتيجية الاتصالات اليومية الخاصة بها قد تطورت أيضا في محاولة للتنافس على أرض المعركة الإعلامية. وتدرك داعش أنه من المهم لجهود التجنيد التي تبذلها أن ترشد وتبرر تقهقرها الإقليمي من أجل تهدئة نفسيات مقاتليها ومناصريها والمجندين المحتَملين لديها.

تاريخيا، إشتملت إصدارات داعش من أفلام الفيديو على نِسب مئوية كبيرة من لقطات عرض للحياة داخل أراضي داعش تشبهاً بالمدينة الفاضلة (اليوتوبيا) – أطفال يلعبون، توفير الخدمات الإجتماعية وفرض القانون والنظام في المناطق التي كانت في حالة مستمرة من الحرب لأكثر من عقد من الزمن. لقد تحولت إصدارات الفيديو في أواخر العام 2016، خاصة تلك الصادرة من محافظة نينوى (التي تشمل الموصل) إلى تركيز أكبر على تمجيد الجهاد العسكري، وكثيراً ما تُظهر جنود داعش في وضع الهجوم ضد القوات العراقية .على سبيل المثال، فإن مسلسلاً من اثنين من أفلام الفيديو المنتجة في منطقة الموصل في أواخر أكتوبر 2016 تحت عنوان "إشعال الحرب" يعرضان معركة الموصل بصورة بطولية، حيث يصوران مقاتلي داعش بأنهم ليسوا مجرد مقاتلين شجعان فقط بل و رابحين أيضاً.

وهناك صور تظهر مقاتلي داعش وهم يقومون بتدمير دبابات أبراهامز وغيرها من المعدات العسكرية العراقية، فضلا عن الإستيلاء على كميات كبيرة من ذخائر العدو. وقد صدر فيلم فيديو آخر من الموصل في ديسمبر العام 2016 تحت عنوان "صائدي الدبابات" يعرض قصص وتكتيكات
مقاتلي داعش في تعاملهم مع العربات المدرعة. وتزخر أفلام الفيديو المماثلة بالرسوم المعلوماتية[8] التي توضح عدد أعتدة العدو المدمرة.

إن إعتماد داعش الشديد على الرسوم المعلوماتية في الدعاية على الإنترنت تهدف الى وضع الخسائر الإقليمية حتى في الموصل في إطار نجاح استراتيجية حرب إستنزاف تبدو داعش فيها مقتنعة دينياً انها ستحقق لها النصر. أيضاً، هناك صور مشابهة تهدف إلى إذلال الأعداء والسخرية منهم وبخاصة الشركاء في التحالف الغربي. إن نشر قصص

[7] رومية، العدد 3، صفحة 26

[8] الرسوم المعلوماتية تمثيلات مرئية متطورة للمعلومات والبيانات. داعش تعتمد اعتماداً كبيرا على الرسوم المعلوماتية كأداة استراتيجية لنقل رسائلها، بوصفها بسيطة الفهم، وسهلة لجذب انتباه الجمهور، ويمكن أن تترك آثار نفسية دائمة .

حربية في أشرطة فيديو مثل تلك المذكورة آنفا تؤكد نقص الموارد المتاحة لداعش مقارنة بثروة وقوة أعدائها، بحيث يتم تسليط الضوء على رجولة وشجاعة وتقوى مقاتلي داعش. وفي حين كان النداء إلى الجهاد المسلح سائداً تماما في دابق، فإن النداءات المستمرة بإعتبارها موضوعاً مركزياً في معظم المقالات في رومية تشير أيضا إلى تكثيف شامل للسرد العسكري. وهذا يدل على أن الاتصالات الاستراتيجية عبر مراكز داعش الإعلامية الإقليمية والمجلات الإلكترونية تسعى على نحو متزايد، لا سيما في أعقاب فشلها العسكري في الآونة الأخيرة، الى تقديم "رواية الظافر" التي تشجع الأنصار وتسخر من الأعداء .

التغييرات التكتيكية: تشجيع الجهاد كل في بلاده

عموما، دأبت داعش على الدعاية للتجنيد عبر الإنترنت بحيث ينبغي على جميع الأنصار أن يؤَدوا الهِجرة أو يهاجروا الى الأراضي الخاضعة لسيطرة داعش. فوجود مناطق للجهاديين الطامحين للجهاد كان جزءا لا يتجزأ من نداءات داعش. أيضا، تميزت داعش عن القاعدة التي لم تدع للهجرة الجماعية إلى أفغانستان ، ثم فحصت عن كثب المجندين الجدد وشجعت الهجمات من خارج أراضي "الخلافة". ونظرا لفقدانها للأراضي، تقوم داعش حالياً بتشجيع مناصريها من خلال الفيديو والمطبوعات على البقاء في بلدانهم الأصلية، والانخراط في الإرهاب بأي وسيلة ممكنة. ويتجلى هذا في التحول الخطابي من الإعلان الأول لدابق ، " حياة الجهاد مستحيلة ما لم تحزم أمتعتك وتنتقل للعيش في دولة الخلافة"،"[9] الى بلاغ رومية ، "إحتشدوا من عرائنكم لتخفيف الآلام التي تصيب قلوب المسلمين بضرب الكافرين في أوطانهم،" لأنه " فقط من حكمة الله أنه قد شتتكم في الأرض وفي مختلف أراضي الصليبيين ليرى من منكم هو الأفضل بالأفعال".[10] وبعبارة أخرى، إن الهِجرة الى دولة الخلافة لم تعد شرطا مسبقاً ضروريا للجهاد ولا التزاما دينياً. بدلاً من ذلك، يجري استفزاز الأنصار لشن هجمات فردية في بلدانهم الأصلية.

ولتسهيل هذه الهجمات ، شَرَعت داعش بتوفير أفلام فيديو إرشادية تعليمية ومواد للإرهابيين المحليين. وهناك قسم جديد يسمى "هجمات إرهابية فقط"[11] قُدم في العدد الثاني عشر من مجلة دابق وحاليا ينشر بانتظام في رومية، وهو مخصص حصرا لتشجيع الهجمات الفردية. فهو يصف متى وكيف يمكن أن ينفذ هجوم واسع النطاق وما هي الأسلحة المعقولة التي يمكن أن تستخدم فيه. فمقالات مثل "دم الكافرحلال لك، حتى تسلط عليه"[12] و"وحشية وقسوة تجاه الكفّار"[13] تحاول ترشيد وتطبيع وتمجيد العنف بهدف إزالة أي قلق محتمل قد يردع أنصار داعش في البلدان الأجنبية عن الأعمال الإرهابية الفردية.

وعلى نحو مماثل، فقد صدر فيلم فيديو في أواخر نوفمبر 2016 بعنوان " أيها الموحدون! يجب أن تحاربوهم"، يتضمن برنامج تعليمي على الهجمات بالسكين وصنع المتفجرات، ويعرض للمُشاهد نداءات معرفية (روايات عن

[9] دابق، العدد 3، دعوة إلى الهجرة، صفحة 31

[10] رومية، العدد 1، صفحة 17

[11] دابق، العدد 12، هجمات إرهابية فقط.

[12] رومية، العدد 1، صفحة 34

[13] رومية، العدد 2، صفحة 22

الضحايا والاضطهاد) وعاطفية (التضامن الجماعي القائم على الهوية الدينية) وسلوكية (تعليمات مفصلة حول الأسلوب). وبهذا تتضح كيفية تطور الإعلام المرئي والمطبوع لدى داعش لاستخدامه، جزئياً، كأرضية للتدريب الإفتراضي[14].

أهمية استخدام الشبكات غير المتصلة بالإنترنت للتجنيد

على الرغم من التحولات الهامة في استراتيجيات الاتصال عبر الإنترنت، ربما ستكون أهم نتيجة لخسائر داعش الإقليمية الأخيرة هي الإعتماد المتزايد على شبكات التجنيد غير المتصلة بالإنترنت. فبحوث مركز كارتر الميدانية في شمال أفريقيا تشير إلى أن شبكات التجنيد السلفية التكفيرية التي تستند إلى العلاقات الشخصية المباشرة. ومع تقلّص إمكانية السفر إلى حد كبيرإلى إقليم داعش ، سوف تزداد أهمية الشبكات الجهادية المحلية، وربما يتم تحويل المقاتلين الأجانب المحتملين إلى مناطق أكثر قرباً من مناطق النزاع.[15]

تركز استراتيجيات داعش التجنيدية في المجتمعات المهمّشة على تدارك دقيق للشكاوى المحلية التي يرجع تاريخها الى إستياء وضعف العلاقات المركزية المحلية، والافتقار إلى الترقي وضعف الخدمات الاجتماعية ونهج أمني قاسٍ لمجتمعات محافظة دينياً. وفي مدينة ساحلية فقيرة في شمال المغرب، هناك محامي يعمل على موضوع التطرف روى قصة شاب يُدعى كوكيتو، أشتهر في وقت لاحق من خلال ظهوره في فيلم فيديو تصويري عن التجنيد في داعش حيث عرض كوكيتو سبعة رؤوس مقطوعة. وقبل أن يهاجر إلى سوريا للانضمام إلى داعش، كان كوكيتو ضحية نظام تعليمي ضعيف ومتعثر مع عدم وجود فرص للعمل أو التعليم العالي أوالزواج أو الوظيفة. أصبح كوكيتو أكثر شهرة بعد وفاته، والتداول المستمر لصورته في العديد من المنصات الإعلامية زادت من شهرته، مما إستَثَّار تجنيد المزيد من الشباب في الحي الذي يقيم فيه. في مثل هذه الحالة، يتم الاحتفاظ بجهات الاتصال بعد التجنيد عن طريق ماسنجر الفيسبوك وتطبيق الواتسأب لتسهيل عملية التجنيد من أحياء معينة. فالخلل في نظام التعليم العام وعدم وجود برامج للشباب والفرص المحدوة تُنشئ حالة شبهها أحد المحاورين بـــ "طنجرة الضغط". حتى لو اختفت داعش من العراق وسوريا، فإن الظروف التي غرست التطرف العنيف عبر المنطقة ستبقى مستمرة ومنهجية .

[14] البيانات المتعلقة بالفعالية لتشجيع الهجمات "المحلية" أو "الفردية" للفترة قيد النظر ليست متاحة بعد، والعلاقة بين الهجمات البارزة في عام 2016، مثل أورلاندو ونيس وداعش من الصعب قياس الدعاية مع اليقين. ومع ذلك، تظهر البيانات أن نمط الهجمات الفردية الآن أكثر انتشارا من أي وقت مضى. راجع "قاعدة الإرهاب العالمي" في برنامج START في جامعة ماريلاند.<http: www.start.umd.edu/gtd/=""> :

[15] أجرى موظفو مركز كارتر ما يزيد عن 50 مقابلة عن استراتيجيات داعش التجنيدية والايديولوجية التكفيرية مع المقاتلين الأجانب السابقين وأعضاء المجتمعات السلفية المعزولة وأسر المجندين المزعومين. مقابلات أولية جرت في أكتوبر 2016 مع مقابلات المتابعة في ديسمبر عام 2016.

الاستنتاجات

إن فقدان داعش للأراضي هو أمر مهم عسكريا ورمزيا. ومع ذلك، فإن هزيمتها في دابق أوالموصل أو حتى في الرقة ليســت مؤشــرا على الهزيمة الكاملة لداعش، إذ أن مدى المناطق الإقليمية التي تســيطر عليها في العراق وســوريا وحيازتها الســريعة لها في العام 2014 ســتبقى جزءا من أســاطير داعش، الأمر الذي شــدد عليه البغدادي نفســه في الخطب الأخيرة الموجهة لأنصاره. إن قوة داعش الأساسية هي في قدرتها على التحكم في السرد الروائي (حول "نحن مقابل هم،" الحرب والسلام، الفظائع واللوم) وتحفيز الأفراد، من باريس إلى الفليبين، للتعهد بحياتهم إلى "الخلافة." لقد قامت داعش بدور طليعي في استخدام وسائل الإعلام على الإنترنت وطورت استخدام شبكات غير متصلة بالإنترنت للتجنيد بطريقة غير مسبوقة إذ لا يحتاج المرء الى قاعدة إقليمية لكي يغرد على تويتر (أو ارسال برقي أو إرسال على موقع .JustPaste.it). إن التدخل العســكري وحده غير كافٍ لمنع التطرف العنيف. ولكن هذا لا يعني أن الهزيمة العسكرية لن تشكل ضـربة خطيرة لمطلب داعش بإنشـاء "الخلافة" النبوية، الذي كان من المفترض أن تكون "باقية". بيد أنه من غير المحتمل أن تؤثر الهزيمة العسكرية على القضـاء نهائياً على مصـداقية التنظيم الخطابية وخبراته في مجال التجنيد .

مركز كارتر

ون كوبنـهيل

453 فريدوم باركواي

أتلانتا، جورجيا 30307

www.cartercenter.org